الإشكاليات النفسية للهجرة واللجوء وابرز المعالجات المقترحة لهما من وجهة نظر علم النفس التربوي (ازمة الوطن المفقود والبحث عن الهوية)

أ.م.د. عدي نعمت بطرس عجاج

ouday.ehp1@student.uomosul.edu.iq

مديرية تربية نينوى

الملخص

هدفت المقالة التعرف على الإشكاليات النفسية للهجرة واللجوء وأبرز المعالجات المقترحة لهما من وجهة نظر علم النفس التربوي، والبحث في الظروف التي أرغمت ودفعت الناس الى الهجرة واللجوء؟ وما الذي ينتظرهم في الغربة؟ وماذا ينضوي على هذه التجربة من الجوانب النفسية والفكرية المتعددة مثل الصدمة النفسية وفقدان الهوية وإيجاد الاستقرار النفسي والاندماج الاجتماعي والامراض النفسية، وقد تبنى الباحث في مقالته نظرية ماسلو (الحاجات) وقد توصل الباحث الى مجموعة من الاثار النفسية والاجتماعية التي تسببها الهجرة واللجوء، وكذلك التوصيات التي يمكن الاستفادة منها من قبل الجهات المختصة.

الكلمات المفتاحية: الإشكاليات النفسية للهجرة واللجوء.

Psychological problems of migration and asylum and the most prominent proposed treatments for them from the perspective of educational psychology

(The crisis of the lost homeland and the search for identity)

Asst. Prof Dr. Oday Neamat Butrus Ajaj

Nineveh Education Directorate

Abstract

The article aimed to identify the psychological problems of migration and asylum and the most prominent proposed treatments for them from the perspective of educational psychology. And research into the circumstances that forced and pushed people to migrate and seek asylum, and what awaits them in exile? What does this experience entail in terms of multiple psychological and intellectual aspects, such as

psychological trauma, loss of identity, finding psychological stability, social integration, and mental illness? In his article, the researcher adopted Maslow's theory of needs, and he arrived at a group of psychological and social effects caused by immigration and asylum. As well as recommendations that can be used by the relevant authorities.

Keywords: Psychological problems of migration and asylum.

مقدمة:

تعد كل من الهجرة واللجوء والابعاد القسري من أبرز القضايا العالمية والدولية واهمها التي ظهرت في القرن الراهن، وبسبب الظروف التي عصفت على مجتمعاتنا العربية والمتمثلة بالنزاعات المدمرة والصراعات الطاحنة والحروب الدامية، وما يفرض من حصار اقتصادي، واوضاع الأمنية المتدهورة، وكذلك نضيف اليها الهجمات الطائفية والعرقية والارهابية، والأزمات الاقتصادية والمادية والاجتماعية والسياسية، والفساد الاداري، وما نجم عن ذلك من انتشار حالات الهجرة للمثقفين والعقول العلمية، وما نجم عنها خلق مجتمعات غير متوازنة وايضاً غير مستقرة وطاردة للسكان، وهذا قد دفع الكثير من الافراد الى مغادرة اوطانهم الى المناطق الجاذبة ويصبحون بدون (وطن) ويقعون كضحايا لأحداث خارجة عن مسؤوليتهم تسببت لهم أمراضاً نفسية مؤلمة وصحية موجعة، وقد قدرت منظمة مفوضية للأمم المتحدة في شؤن اللاجئين بان ما يقارب (١,٩) عراقياً نازحاً داخلياً، ومثلهم مليونين شخص تقريباً استقروا في البلدان المجاورة، وما يقارب اكثر من (٣٠٠) الف في البلدان البعيدة.

الحاجة والمشكلة: من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

بصورة عامة ماهي الظروف التي أرغمت ودفعت الناس الى الهجرة واللجوء؟ وما الذي ينتظرهم في الغربة؟

- قبل الهجرة او اللجوء (سبل العيش، العنف والاضطهادات، النزاعات المسلحة، الكوارث بأنواعها).
- اثناء الهجرة او اللجوء (الظروف الصعبة المهددة للحياة، الاحتياجات الأساسية والخدمية، الرعاية الصحية).
- الوصول والاستقرار (الانفصال عن العائلة، العمل والاستحقاقات المالية، طلب الموافقة للجوء، الاندماج في البلد الجديد، العنصرية والمضايقات).

يعرف الباحث كل من:

▪ **الهجرة:** بكونها عملية انتقال (السكان) من مكان الى مكان اخر ومن ثم الاضطرار للعيش فيه سواء كانت الاقامة داخلياً او خارجياً أو بشكل مؤقت أو دائمي، ولمجوعة أسباب معقدة ومتنوعة سواء كانت بصورة طوعية او قهرية.

▪ **الشخص المهاجر:** بانه (الشخص) الذي ينتقل من مكان سكنه لمكان أخر بسبب الفقر او للبحث عن الأمان له ولعائلته، ومن اجل العيش والعمل وتحقيق مستقبلاً أفضل بصورة دائمة او مؤقتة.

❖ **تنضوي على هذه التجربة مجموعة من الجوانب النفسية والفكرية المتعددة وأبرزها:**

▪ **الصدمة النفسية:** التي تظهر بصورة متجلية لحظة المغادرة للبلاد، وفراق الاقرباء والاحباب والأصدقاء ومن ثم التوجه الى مكان مجهول بكل ما يصاحب الأشخاص المهاجرين من قلق واكتئاب وخوف وكوابيس واحلام مزعجة وارق وازمات نفسية من التكهن في نجاح او فشل الهجرة واللجوء وثم البحث عن (الولادة الجديدة) والانطلاق الى الحياة المجهولة القادمة.

▪ **الخيال اللاواعي:** وهنا يلعب دوراً مهماً وفعالاً في البحث عن الاستقرار وإيجاد الملاذ والمكان الذي يتصف بكونه مثالي بما قد يوفره من الحماية والأمان ومستلزمات الضرورية للمعيشة، وتبقى احلام اليقظة تلوح باللقاء القريب بمن يحبون.

▪ **الاغراء الذي تقدمه البلدان:** فحالات الازدهار والتطور والتقدم والانفتاح والامان الذي تعيش فيه بعض البلدان وخاصة الغربية والعربية المتقدمة يجعل الاشخاص يحلمون في اللجوء والهجرة اليها طلباً لحياة هنية.

▪ **الهوية:** تبدأ مواجهة الذات والصراع الانسان من اجل المحافظة ذاته والاحساس بها وبذكرياته الاجتماعية والمكانية والزمانية، فنجد ان اغلب منازل الناس المهاجرين واللاجئين تحتوي على أشياء تبقى تذكرهم بأوطانهم من (اعمال يدوية وفنية، موسيقى شعبية، لوحات وصور شخصية ومناظر طبيعية لبلادهم واوطانهم) تشعرهم بهويتهم الاصلية، والحيرة تبدأ عند الإجابة هل انا عراقي؟ او انا .... ؟

▪ **الاستقرار النفسي والاندماج الاجتماعي:** عملية انضمام الافراد الى المجتمع الجديد (الغريب) والاختلاط مع نسيجه الاجتماعي، والصعوبة في الانصهار مع معايره الدينية والقيمية واللغوية والأخلاقية والاقتصاديَة والمهنية والتربوية والعلمية، وهنا يجب على الافراد التركيز على نقطة مهمة وهي الاستغناء عن الحياة الفردية والاندماج مع المحيط بكل ما قد يحتويه من أمور مختلفة ومتعددة.

▪ **الطرد الاجتماعي:** الذي يرجع بسبب ما تقوم به بعض الأنظمة او الاشخاص من عزل وابعاد للأخرين بسبب اعرافهم او اتجاهاتهم الفكرية او الثقافية مما يؤدي الى ابعادهم وهروبهم من ارض الوطن.

▪ **اللغة:** ذ تحدث عن الخسارة للغة الام بكل معانيها ودلالاتها، وخاصة للأطفال الذين يولدون بعيدا عن اوطانهم، وولادة لغة جديدة يجد الافراد اللاجئين والمهجرين أنفسهم مجبرين على تعلم لغة بعد عدت محاولات ومجموعة أساليب ولغة الاشارة للتعبير والتواصل مع الناس المتواجدين في البلاد الجديدة.

▪ **العمر الزمني:** تكون هذه التجربة مختلفة في استيعابها للأشخاص المهاجرين (أطفال، شباب، مسنين)، إذا تكون اقل وطأة لدى الأطفال من الأشخاص الكبار الذين يكونون اقل قدرة على التوافق والتكيف والتعلم، ولان الأطفال يكونون أكثر ميلاً للتقليد والمحاكاة والاستقبال للمستجدات.

▪ **عمل الأطفال:** تعتمد اغلب الأسر في كسب الرزق ولقمة العيش من خلال عمل اطفالهم، وعلى الرغم من فرض التشريعات والقوانين التي تجبرهم وتلزمهم من الانخراط في المدارس للتعلم، ولكن نجد الأغلبية من الاطفال يرتادون الشوارع لبيع بعض الأشياء والامور البسيطة، او العمل في مهن يكون في اغلب الأحيان حقهم فيها مسلوب.

▪ **الامراض النفسية:** يظهر عدد من اعراض الامراض النفسية والتي من أبرزها (القلق – الخوف من الموت – الفوبيا من الانهيار – فقدان المكانة – اضطرابات ما بعد الصدمة)، وكذلك تظهر اعراض الهوس على شكل انقطاع وانفصال عن الواقع، واضافة الى الاكتئاب والضغوط النفسية، بينما تظهر على الأطفال اعراض الفزع الليلي، وقضم الاظافر، ويرافقها كذلك مشكلات في الكلام مثل التلعثم، وبعض الأطفال يظهر لديهم التبول اللاإرادي، والإحباط.

▪ **اغلاق الافاق:** الشعور بفقدان الانتماء للمجتمع والاحساس في العزلة والوحدة والتواجد في أماكن مجهولة وغريبة، فيشعر الانسان المهجر او اللاجئ بأنه لم يعود ينتمي للعالم الذي تركه، ولا ينتمي كذلك الى العالم الذي وطاءة قدميه فيه.

❖**ابرز النظريات النفسية:** التي يمكننا ان نتناولها في هذا المجال وهي نظرية (**ماسلو**) التي قسمت الحاجات الإنسانية بشكل هرمي كانت قاعدته تمثل (الحاجات الفسيولوجية الأساسية) ومن ثم تلتها الحاجة الى الامن والاستقرار، وبعدها الحاجات الاجتماعية والانتماء، ومن ثم بعدها الحاجة الى التقدير والاحترام، واخيراً في اعلى قمة الهرم الحاجة التي تحقيق الذات، ولكن نجد ان عدم اشباع أي حاجة في قاعدة الهرم يعيق بشكل أساسي ووضح في عرقلت التقدم الى الوصول للحاجات الأخرى التي هي أعلى منها، فنجد ان اغلب حركات الهجرة واللجوء والنزوح كانت بسبب الحاجات الفسيولوجية (الغذاء والحصول على لقمة العيش) والتي هي في قاعدة الهرم، وتليها حاجات الامان (ضعف الامن وانعدامه) في كثير من الأحيان، وهكذا صعوداً الى بقيت الحاجات في اعلى الهرم.

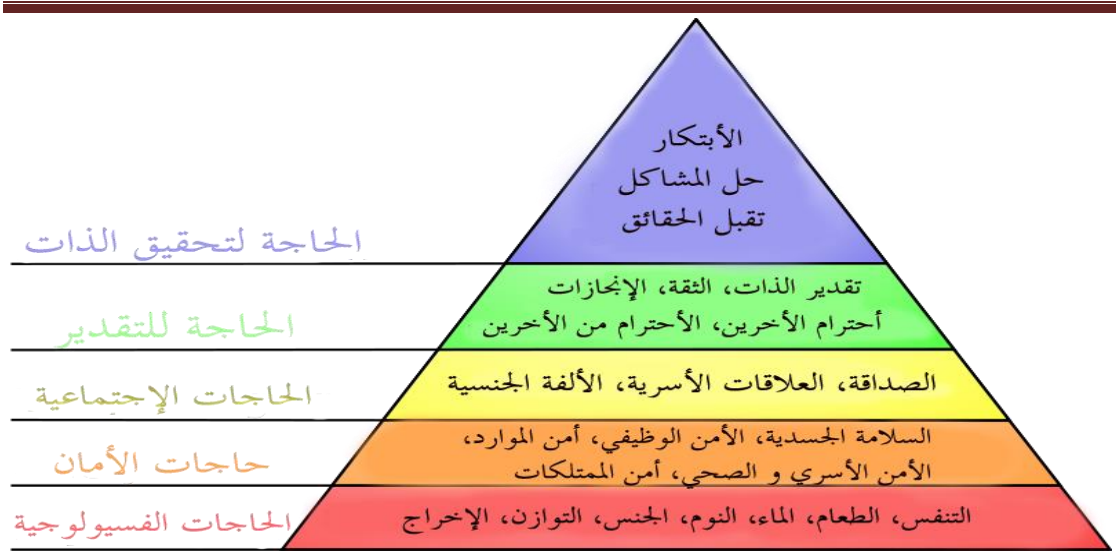

الاثار النفسية والاجتماعية للهجرة واللجوء:

- استقواء المخاوف العصابية لدى الناس نتيجة الابتعاد عن الوطن والتهجير القسري والاضطهاد، وبالمقابل سوف يطفو الشعور بالذنب والكأبة إذا كان هذا القرار اختيارياً.
- الشعور بالانقطاع عن التواصل مع الناس والعيش في عالم اخر، والصراع بين الذكريات في بلد الام مع الحاضر في البلاد الجديدة، وخاصة الصراع القيمي.
- التوجه نحو مستقبلاً مجهول وترك كل شيء، والتعايش مع ثقافة وعادات وتقاليد الدولة المستضيفة.
- الألم ومشاعر الحزن وفراق الاهل ولأقرباء والأصدقاء الباقين في ارض الوطن لأنهم فقدوا اشخاص اعزاء عليهم بسبب الهجرة واللجوء.
- الاعتماد على وسائل الاتصال والتكنولوجية بأنها تقرب المسافات وتكسر الحواجز، والايمان بمقولة سوف نبقى على اتصال.
- ضغوط ثانوية تفرضها البلاد الجديدة مثل (الألبسة، الأطعمة) والتعود على المناخ في البلاد الجديدة.
- العيش في مناطق عشوائية، واصابة العديد من الأطفال بسوء التغذية.
- انتشار ظاهرة التسرب من المدارس وكذلك انتشار التسول بين الأطفال، نتيجة الحالة الاقتصادية المتدنية بسبب البطالة.
- خسارة جيل الشباب الذين يمثلون الطاقات الحيوية والعاملة والقوة والمهارات والخبرات التي تنصب في بناء الوطن إذا أحسن استغلالها.

التوصيات:

- تعميق العاطفة في الارتباط بالوطن والاهل الذي من شأنه يقلل من اتخاذ قرارات الهجرة وطلب اللجوء.

- توعية القائمين والمسؤولين في التربية والتعليم بالأهمية والحاجة الملحة للتخطيط الاستراتيجي في اللحد من هذه الظاهرة.
- الاهتمام بالعلماء والأساتذة والمختصين الباقين في ارض الوطن للنهوض به وتجاوز الازمات، ولتقليل الهوة العلمية والثقافية، لان هجرة الادمغة المفكرة تعطي هذه البلدان فوائد كثيرة.
- ممارسة المختصين والمثقفين والعلماء اختصاصاتهم التي تتناسب مع خبراتهم، وعدم الاعتماد على الخبرات والتقنيات الغربية على حساب كفاءات أبناء الوطن.
- بناء جيل مثقف وواعي يتصف بحب وتقبل الاخر ويمتلك الذكاء الثقافي ويحترم جميع المكونات والثقافات التي تعيش في ارض الوطن ورفع شعارات التعايش السلمي.
- الاستفادة من التوصيات التي تمخضت عنها الدراسات والبحوث عن (تقبل الاخر، الاندماج الاجتماعي، التعايش السلمي).
- الابتعاد عن مبدأ التفرقة العنصرية على الأساس الحزبي او الديني او العائلي، بل يكون الأساس هو الكفاءة والخبرة العلمية، وحسن الجوار، وجودة الصداقة.
- الاهتمام بالمشاريع التي من شأنها توفير فرص العمل للأفراد داخل وطنهم، وتنشيط القطاع الخاص ودعمه.

المصادر:

- أبو جراد، خليل علي (٢٠١٩): **الهجرة وعلاقتها في الاستقرار النفسي لدى الشباب الفلسطيني بمحافظة قطاع غزة**، (دراسة ميدانية)، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
- البعاج، هديل تومان (٢٠١٧): الابعاد الاجتماعية النفسية في التهجير القسري على الأطفال العراقيين، **مجلة لاراك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، عدد (٢٦)، العراق.
- الخالدي، عبير نجم (٢٠١٢): *حقوق الطفل بظل الازمات المجتمعية، (الطفل العراقي نموذجاً)*، **مجلة البحوث التربوية والنفسية**، عدد (٣٣)، الجامعة بغداد، العراق.
- الزغبي، عبد الله وعبد الحليم الخرابشة (١٩٩٦): **الانعكاسات الاجتماعية والديمغرافية للهجرة على الاسر في الأردن**، بحث في ندوة، الأردن.
- كركوش، فتحية (٢٠١١): الهجرة غير الشرعية في الجزائر، (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)، **مجلة دراسات نفسية وتربوية**، جامعة سعد البليدة، الجزائر.
- كريم، وفاء قيس (٢٠١٢): **الحاجات النفسية الاجتماعية لدى الأطفال بظل النزاعات المسلحة**، المركز لأبحاث الطفولة والأمومة، (الكتاب السنوي)، المجلد (٦)، الجامعة ديالى، العراق.
- كوليير، بول (٢٠١٧): **الهجرة كيف تؤثر علينا**، سلسلة العالم والمعرفة، الكويت.

- مرتجى، زكي رمزي (٢٠١٨): **أسباب ميل الخريجين للهجرة وعلاقتها في اتجاهاتهم نحوها وانتمائهم الوطني في فلسطين محافظة غزة**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، فلسطين.
- مسعود، خالة (٢٠١٥): واقع الهجرة غير الشرعية في حوض البحر المتوسط التداعيات واليات مكافحتها، **مجلة الجزائر**، عدد (١) م (٢)، الجزائر.
- منظمة الهجرة الدولية (IOM): **تقرير الهجرة في العالم لعام (٢٠٢٠)**: الناشر منظمة الهجرة الدولية.